ثنائية الفقه الإسلامي والقيم الأخلاقية مقاربة لفهم العلاقة بين الفقه والأحكام الأخلاقية

أ.م.د. فلاح عبد الحسن هاشم

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة / قسم علوم القران

ملخص:

تناقش هذه الدراسة إشكالية العلاقة بين الفقه الإسلامي والقيم الأخلاقية، حيث تتمثل مشكلة البحث في دراسة وتحليل مدى استقلال الأحكام الأخلاقية عن الفقه وقدرتها على توجيه الأحكام الشرعية، وإمكانية أن تكون بديلاً عن الفقه في مساحة معينة. وتخلص الدراسة إلى عدم إمكانية الاعتماد على الأخلاق وحدها كبديل عن الفقه لعدم وجود قانون أخلاقي خالص قابل للتعميم عبر الزمان والمكان، مقترحةً تطوير آليات معاصرة للفقه تضمن تغطيته للمستجدات مع الاعتراف بوجود الفراغ التشريعي على مستوى الإثبات (الأدلة الفقهية) لا الثبوت والواقع، وذلك ليواكب التطور المعرفي والتقني دون التخلي عن دوره الأساسي في تنظيم حياة المجتمع.

الكلمات المفتاحية : الفقه، الفقه الإسلامي، الأخلاق، القيم الأخلاقية

Islamic Jurisprudence and Moral Values: A Dual Perspective on Understanding the Relationship between Fiqh and Ethical Rulings

Asst. Prof.Dr. Falah Abdulhasan Hashim

Dept. of Quran sciences and Islamic education/ College of Education for Human Sciences/ University of Basrah

Abstract

This study examines the problematic relationship between Islamic jurisprudence (fiqh) and moral values, where the research problem focuses on studying and analyzing the extent of moral judgments' independence from fiqh and their ability to guide religious rulings, as well as the possibility of serving as an alternative to fiqh in certain areas. The study concludes that ethics alone cannot be relied upon as an alternative to fiqh due to the absence of a pure moral law that can be universally applied across time and space. It suggests developing contemporary mechanisms for fiqh to ensure its coverage of emerging issues while acknowledging the existence of legislative gaps at the level of evidence (jurisprudential proofs) rather than actual existence, thereby enabling fiqh to keep pace with cognitive and technical developments without abandoning its fundamental role in organizing society.

Key words: Fiqh, Islamic Jurisprudence, Ethics, Moral Values

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٣ – المجلد ٤٩ – أيلول لسنة ٢٠٢٤

مقدمة

ثنائية الفقه والأخلاق دارسة تسلط الضوء في مسالة هامة وحيوية بهدف تحديد مستوى العلاقة بين الدين خصوصاً الفقه منه وبين القيم الأخلاقية.

ومشكلة البحث تتمثل في أن الأحكام الأخلاقية مستقلة عن الفقه أم لا؟ هل الأخلاق تستمد وجودها البنيوي من الدين والفقه بالخصوص، فلا توجد إلا الأخلاق الدينية؟ وعلى تقدير الاستقلال هل تؤثر القيم الأخلاقية في توجيه الأحكام الشرعية؟ هل الأخلاق تحظى بمعيارية تمكنها من أن تكون بديلة عن الفقه في مساحة معينة؟ هل يوجد في الفكر الإسلامي نظرية أخلاقية ذات بعد فلسفي واضحة يمكن أن تستند لها الأحكام الشرعية؟ ما هي وظيفة الفقه؟ هل الفقه كما يرى الغزالي مختص بالجانب الدنيوي؟ على تقدير عدم الاستقلال عن الدين، هل التداخل مع الدين بشكل كامل أم هناك من الأحكام الأخلاقية ما يمكن للعقل إدراكه قبل الدين؟ وهذا القسم من الأخلاق – وليكن أصول الأخلاق– هل العقل يحكم به مطلقاً أم يحكم بشكل اقتضائي استثنائي؟ ما هو ارتباط الأخلاق بمسألة الحسن والقبح؟ هل العقل العملي له من الصلاحية من دون النظري أن يعين حاكمية الأخلاق كأصل فوقي غير خاضع للتغيرات والتزاحم في عالم الحياة؟

وسواء قلنا بالاستقلال أم لا، هل الفقه يسير في إطار الأخلاق؟ فكما هو معلوم إن هدف الرسالة النبوية هو إتمام مكارم الأخلاق، هل أحكامنا الفقهية كلها لا تتناقض مع الأخلاق؟ ألا يوجد أحكام قد يرفضها الوجدان الفطري ولكن الفقه يراها صحيحة، كما في الحيل الشرعية التي تتقاطع مع الأخلاق، وكثير من الفقهاء أجازوا الحيل الشرعية مع ثقل كاهلها على الوجدان الأخلاقي، أو مسألة الاستنساخ البشري المعروفة أو مسألة زراعة الأعضاء التي يرى الفقهاء صحتها تبعاً لسلطنة الإنسان على الأعضاء بينما تتجه الأخلاق لرفضها لكونها تنتج بيع الفقراء لأعضائهم، فيتعارض فيها الوجدان الأخلاقي مع الفهم الفقهي، فهل ينبغي أن تكون الأخلاق مستندة للفقه أم أن الفقه يكون مستنداً للقيم الأخلاقية التي تشكل إطاراً عاماً حالها حال مقاصد الشريعة؟ هل ينبغي أن يدور فهم الأحكام الشرعية في نطاق أعم من قواعد اللغة وقواعد الأصول والمنطق ونحوها لتشمل الأخلاق التي تفضي بالتأكيد إلى تشكيل نسق ثقافي يحتم على المعرفة الفقهية أن تتجه صوب بوصلة الأخلاق عندما تتشابك الأحكام الفقهية مع الأخلاقية؟

والدراسات الفقهية السابقة في هذا الموضوع تكاد تكون نادرة، ومن هنا تكمن أهمية البحث في طرح دراسة تحليلية نقدية بغية معرفة تلك العلاقة ومنها يترشح فهماً آخر ينعكس على الفقه وحاجة الإنسان له، فلا يمكن القول بوجود مساحة متروكة للعقل كي يقرر الأحكام.

والبحث تكون من: مقدمة، وخمسة مباحث أساسية، وخاتمة تضمنت أهم النتائج، وتوصيات.

المبحث الأول: المفهوم والأبعاد الدنيوية والأخروية للفقه وعلاقته بالأخلاق

أولاً: الفقه في اللغة والاصطلاح

يرجع أصل كلمة الفقه في اللغة إلى الثلاثي (فقه)، وهو يدل على إدراك الشيء والعلم به(١). وقد اختلف العلماء في أصل معناه، فيرى ابن الأثير أن أصله الفهم(٢)، بينما يرى الزمخشري أنه مشتق من الشق والفتح(٣)، ولهذا سُمي العالم بالأحكام الشرعية فقيهاً لكونه يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها(٤). وقيل الفقه: فهم الأشياء الدقيقة(٥).

وفي الاصطلاح، مرّ الفقه بمرحلتين مهمتين: الأولى في الصدر الأول من الإسلام، حيث كان يشمل فهم الأحكام الدينية جميعاً (اعتقادية، أخلاقية، عملية)، وكان مرادفاً للدين بمعناه الواسع. ويؤيد هذا المعنى الشمولي قوله تعالى: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كلّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ